

التصحّر .. ظاهرة لها أسبابها

أول ما يخطر ببالنا عندما تمر أمامنا هذه الكلمة ، هو مساحات من الأراض المتشققة أو أراضا صحراوية قاحلة ، لينطبع في مخيلتنا أن التصحر ليس إلا عملية تحول للأراضي المنتجة إلى أراض صحراوية مع مرور الزمن..

أما الأرض الساحلية المجاورة للبحر مثلا فهي بالغنى وبعيدة جدا عن هذه الظاهرة وكذلك الأمر بالنسبة إلى المناطق المائية المجاورة للأنهار ، وكذلك الأراضي البعلية التي لا يحرمها المزارع من المياه بل وعلى العكس فأحيانا يغدق عليها الماء بإفراط ... فهل كل تلك الأراضي بمنأى عن هذه الظاهرة (التصحر!!...) ؟.

تعتبر ظاهرة التصحر تسمية مرضية جديدة نسبيا حيث ظهر أول نص علمي يحمل هذه التسمية قبل حوالي 50 سنة فقط ! ، وأول خريطة للتصحّر أنجزت من قبل الهيئات التابعة للأمم المتحدة كانت في 1977 حيث تزامن ذلك مع انعقاد مؤتمر التصحر التابع للأمم المتحدة في نيروبي في كينيا .

من المهم معرفة أنه بقي مصطلح التصحر لفترة غير قليلة موضع نقاش من قبل هيئات الأمم المتحدة المعنية. غير أن أحدث تعريف أقر في 1994 ضمن اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة التصحر ينص:

" التصحر يعني تدهور الأرض في المناطق القاحلة و شبه القاحلة و في المناطق الجافة و شبه الرطبة الذي ينتج من عوامل مختلفة تشمل التغيرات المناخية و النشاطات البشرية" .

أو بعبارة أخرى:

" حدوث نقصان أو تدمير في المقدرة البيولوجية للأرض بما يمكن أن يؤدي إلى سيادة ظروف شبيهة بالظروف الصحراوية **Desert - like** في ظل تأثير مزدوج من تغير وتذبذب في الظروف المناخية مع حدوث نشاط بشري كثيف الأثر، وتكون النتيجة إصابة الأنظمة البيئية البرية بالتدهور كمّاً ونوعاً " .

وبناء على التعريف السابق فإن ظاهرة التصحر تطلق على حدوث عملية هدم أو تدمير للطاقة الحيوية للأرض (التربة والنبات الطبيعي وموارد المياه) و التي يمكن أن تؤدي في النهاية إلى ظروف تشبه ظروف الصحراء وهو مظهر من التدهور الواسع للأنظمة البيئية الذي يؤدي إلى تقلص الطاقة الحيوية للأرض المتمثلة في الإنتاج النباتي والحيواني بما يؤثر سلباً على صحة الحيوان والإنسان ويحرمهما من فرص الحياة للوجود البشري. ورغم أن تناقص الإنتاجية الزراعية ومن بعدها الحيوانية يعد مظهراً أساسياً للأراضي المتصحرة، فإن النتيجة قد لا تكون بالضرورة تحول الأرض إلى شكل الصحراء برمالها الصفراء وخلوها من النباتات، كما هو متخيل لدى غالبية الناس .

ورغم أن هناك الكثير من المراحل في عملية التصحر ، لكن مهما يكن شكلها ، فإن المرحلة النهائية ستكون الصحراء التامة مع إنتاجية حيوية تصل إلى الصفر.

ويؤثر التصحر تأثيراً مفاجئاً على الحالة الاقتصادية للبلاد، حيث يؤدي إلى خسارة تصل إلى 40 بليون دولار سنوياً في المحاصيل الزراعية وزيادة أسعارها ، وفي كل عام يفقد العالم حوالي 691 كيلومتر مربع من الأراضي الزراعية نتيجة لعملية التصحر، بينما حوالي ثلث أراضي الكرة الأرضية معرضة للتصحّر بصفة عامة.

من هنا يتبين إن التصحر أحد المشاكل البيئية الخطيرة، التي تواجه العالم حالياً و هو يتطور في اغلب أرجاء المعمورة وعند معدلات متسارعة. ويقدر بان مساحة الأراضي ، التي تخرج سنويا من نطاق الزراعة نتيجة عملية

التصحّر، تبلغ حوالي **50,000 كم²** وتبلغ نسبة الأراضي المعرضة للتصحّر **40%** من مساحة اليابسة و هي موطن أكثر من مليار إنسان .
وأغلب المناطق المعرضة للتصحّر تقع في الدول النامية في أفريقيا و آسيا و أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي، حيث يؤثر التصحّر على القارة الإفريقية بشكل خاص، حيث تمتد الصحاري على طول شمال إفريقيا تقريباً. كما أنها أصبحت تمتد جنوباً، حيث إنها اقتربت من خط الاستواء بمقدار **60 كم** عما كانت عليه من **50 سنة** . يخلق التصحّر جواً ملانماً لتكثيف حرانق الغابات وإثارة الرياح، مما يزيد من الضغوط الواقعة على أكثر موارد الأرض أهمية ألا وهو الماء. وحسب تقرير الصندوق العالمي للطبيعة (**World Wide Fund for Nature**) فقدت الأرض حوالي **30%** من مواردها الطبيعية ما بين عامي **1970 م** و **1995 م** .